مفاخر البطالسة

بطليموس الرابع الملقب فيلوباتر

هو ابن بطليموس الثالث خلف اباهُ على عرش مصر سنة ٢٢٢ قبل المسيح واقترن باخته ارسنوي فولدت لهُ ابنهُ بطليموس الخامس الملقب ايبفانس

في تاريخ هذا الملك امران من احرى الامور بالذكر اولهما ان ما يُدوَّن في التواريخ قد يكون كذبًا وتضليلاً لان اغراض الكتَّاب تحول دون تحرير الحقائق فيقررون الاباطيل . وثانيهما ان من يمتلك بلادًا وينظم جندهُ من اهاليها يجب ان يكون على تمام الحذر لئلا يخرج هذا الجند عليهِ فيصدق فيهِ قول القائل

اعملْ الرماية كل يوم فلما اشتدَّ ساعدهُ رماني

من يقرأ تواريخ البطالسة التي كتبت حتى عشرين سنة مضت يحسب هذا الملك حليمًا منغمسًا في الملاذ والمعاصي لا يهتم بامور البلاد ولا براحة العباد ولكنهُ يرى من خلال ذلك امرًا يستمر على المؤرخ اخفاؤهُ مهما كان جائرًا في حكمهِ وهو ان هذا الملك حارب انطيوخس ملك سورية المعروف بالكبير وقهرهُ وبني المياكل وعضد العلوم والفنون فيستغرب اجتماع النقيضين فيهِ الانغماس في الملاذي والمعاصي وتنظيم الجيوش وتعضيد العلوم والفنون ولكنهُ اذا طالع اقوال الباحثين المحققين وجد ان بطليموس هذا شدد الوطأة على بعض سكان بلادهِ فسرَّدوا صحيفة تاريخهِ وتركوا ذكرهُ عبرةً في الملا

ويقال انهُ لما قهر انطيوخس عند رفح كما سيجيء اوغل في بلاد الشام الى ان وصل القدس الشريف فاعجب ببناء هيكل اليهود ودخلهُ وحاول دخول قدس الاقداس فقال لهُ رئيس الكهنة ان ذلك لا يجوز لاحد الاَّ لهُ هو مرةً واحدة في السنة . فقال بطليموس ان هذا المنع يصدق عليكم ولكنهُ لا يصدق عليَّ واصرَّ على الدخول فاصابتهُ نوبة صرع وسقط لساعتهِ فحملهُ رجالهُ واخرجوهُ من الهيكل . فحقد على اليهود بعد عودتهِ الى مصر وامر ان يوسموا على اذرعهم ونكَّل بالذين لم يطيعوا امرهُ تنكيلاً ورمى بعضهم للافيال

قال كاتب سفر المكابيين الثالث ان بطليموس استدعى اليهِ هرمون حارس افياله وامرهُ ان يطعمها طبيخًا فقط ويسقيها كثيرًا من الخمر حتى تسكر ويشتد قرمها وتقوى على الفتك بالناس وجمع اخصَّاءهُ وقواد جندهِ الذين يكرهون اليهود واولم لهم وليمة فاخرة . ثم جيء

بالاذيال الى امامهم وأُتي باليهود مقيدين وطرحوا امامها ولم يكونوا يفرغون الى الله فابت الاذيال ان تنافر بكروه وارتدت على رجال بطليوس وفتكت بهم

هذه خلاصة ما رواهُ كاتب ذلك السفر . والمرجح ان بطليوس غاظ اليهود نزلاء القطر المصري اما بابتزاز الاموال منهم او بشيء آخر جارياً على خلاف الخطة التي جرى عليها اسلافهُ من الاعتناء بامة لها المنزلة العليا في تدبير الاموال وتوفير الثروة فحقد عليهِ بعض كتابهم وبالغ في ذكر سيئاتهِ او نسب اليهِ ما هو بريء منهُ

هذا من جهة الامر الاول . والامر الثاني هو انهُ لما قام انطيوخس على بطليوس وحاول استخلاص بلاد الشام من يدهِ جنَّد بطليوس عشرين الفاً من المصريين وعقد لواءهم لاثنين من نخبة رجالهِ وضمهم الى جيشهِ وحارب بهم انطيوخس ففاز عليهِ . فلما عاد هؤلاء الجنود الى بلادهم بثوا روح العصيان في نفوس الاهلين ومن ثم تزعزعت سلطة البطالسة

ولنعد الى تاريخهِ فنقول انهُ اتُّهم بقتل اخيهِ مقاس مخافة ان يخرج عليهِ ومن المحتمل انهُ قتلهُ خوفاً منهُ جارياً في خطة اسلافهِ ومن المحتمل ان اخاهُ خرج عليهِ او حاول الخروج فقتلهُ . ويقال انهُ كان لوزير سوسيبيوس سلطة تامة عليهِ فحملهُ على قتل اخيهِ وامهِ وخالهِ وحملهُ اخيراً على قتل زوجتهِ . وكان كليومنس صاحب اسبرطة قد لجأ الى الاسكندرية واقام فيها ضيفاً على البطالسة فاجأتهُ دسائس الوزير سوسيبيوس الى الانتحار

ثم ان ثيودوتس والي الشام وعد انطيوخس ان يسلمهُ القسم الشمالي من ولايتهِ ان هو نهض لقتالهِ . قال بوليبيوس المؤرخ انهُ فعل ذلك غيظاً من بطليوس لانهُ رآهُ غير مهتم بشؤون المملكة ولانهُ لم يعرف لهُ خدمتهُ فجهز انطيوخس جيوشهُ وسار الى سلوقية على نهر العاصي وبعث اليها باسطولهِ بحراً وكان فيها حامية مصرية فتحها عنوةً او خيانةً ثم تقدَّم الى الشام فاستولى على عكاء وصور من غير قتال لان ثيودوتس سلمهما اليهِ

وبلغ بطليوس ذلك فحصَّن مدخل القطر المصري عند فلوزيوم وجعل يذاكر انطيوخس في امر الصلح وتسليم الشام لهُ خداعاً منهُ حتى تمكنهُ الفرصة من تعبئة الجيوش . واستخدم القواد المحنكين لتعليم الجنود وتمرينهم وصنع كثيراً من الاسلحة فاجتمع عندهُ ثلاثة آلاف من الحرس و٣٣ الفاً من المشرزقة وثلاثة آلاف من الجنود الكريتية وستة آلاف من التراقيين والثاليين وثلاثة آلاف من الترسان وجنَّد ايضاً عشرين الفاً من المصريين وعقد للقائد نيقولاوس وبعثهُ بثلاثين بارجة فدارت الدائرة عليهِ عند مضيق بورفيريون وقتل من رجالهِ الفان واسر منهم الفان آخران فاشتدَّت عزائم انطيوخس وقام قاصداً القطر المصري

وادركهُ الشتاء في الطريق فشتى في عكاء وقام بطليموس لقائهِ بخمسين الف راجل وخمسة آلاف فارس و ٧٣ فيلاً مغيرَّاة . وكانت جنود انطيوخس ٦٢ من المشاة وستة آلاف من الفرسان و ١٠٢ من الافيال وفي اليوم الخامس من خروج بطليموس من مصر نصب خيامهُ على خمسة اميال من مدينة رفح ووصل انطيوخس الى هناك ونزل على مقربة منهُ . ودخل ثيودوتس خيمة بطليموس خطأ لينتك بهِ ونكل بطليموس لم يكن نائماً في خيمتهِ بل في خيمة اخرى فقتل ثيودوتس اندرياس طبيب بطليموس وجرح اثنين من رجالهِ

ثم اصطف الجيشان للقتال وكانت افيال كل جيش قائمة على جناحيهِ امام فرسانهِ فلما ابتدأ القتال هجم انطيوخس بميمنة جيوشهِ على ميسرة بطليموس وكسرها واتبع اثرها فابعد عن جيشهِ . وهجمت ميمنة بطليموس حينئذٍ على ميسرة جيوش انطيوخس وقهرتها لكنها لم تبعد كما ابعدت ميمنة انطيوخس بل اشتركت مع قلب الجيش وشجم الاثنان على قلب جيش انطيوخس فدارت الدائرة عليهِ واستتبَّ النصر لبطليموس ولو اندحرت ميسرة جيشهِ . وقتل من جيوش انطيوخس عشرة آلاف من المشاة وثلثمائة من الفرسان وأُسر منهم اربعة آلاف وقتل ثلاثة من افيالهِ ومات اثنان من جراحها وقتل من جيوش بطليموس ١٥٠٠ من المشاة و ٧٠٠ من الفرسان و ١٦ من الافيال وأُسر انطيوخس بقيتها

وعاد بطليموس الى مصر بعد ان عقد شروط الصلح مع انطيوخس وبعد ان اقام ثلاثة اشهر جائلاً في فينيقية وفلسطين وبتيت بلاد الشام في حوزة مصر مدة حياتهِ ولم يحاول انطيوخس استرجاعها الاَّ بعد وفاتهِ

وعكف بطليموس بعد رجوعهِ من سورية على تعضيد المعارف وتشييد الهياكل واكرام معبودات المصريين ومعبودات اليونانيين وبنى هيكلاً لهوميروس شيخ الشعراء وبنى هيكلاً في طيبة وهو المسمَّى الآن بدير المدينة وجعلهُ مأثور الاهة العالم السفلي . وعلى جدران غرفة من غرف هذا الهيكل صورة الدينونة المشهورة التي يرى فيها الالهان هورس وانوبس يزنان قلب الميت في حضرة الاله اوسيرس وثوث يكتب نتيجة الوزن وفي اعلاها صورة الميت يصلي لقضاة الاموات الاثنين والاربعين كما ترى على الصفحة التالية

واتمَّ بناء القسم الداخلي من هيكل ادفو ونقش الرسوم الكثيرة على جدرانهِ

واستمرَّ على بناء هيكل ايسس في اصوان الذي شرع فيهِ ابوهُ . وبنى هيكلاً صغيرًا في جزيرة الساحل باصوان وقد ظهر حديثاً من الآثار التي وجدت هناك ان بطليموس الخامس

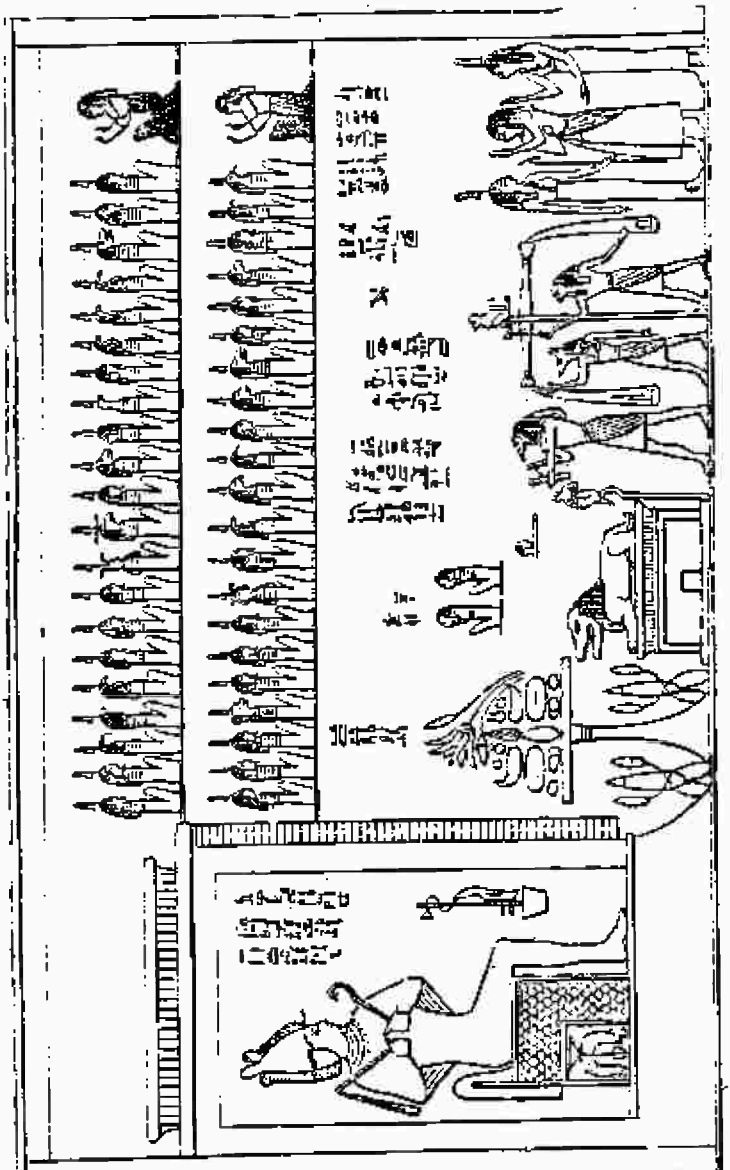

وارغامنس ملك النوبة وطيباريوس قيصر رمموا هذا الهيكل في اوقات مختلفة . ويظهر من ذلك ومن آثار اخرى ان ملوك النوبة والبطالسة كانوا على وفاق وصفاء وان بلاد النوبة كانت كثيرة العمارة وكانت عبادتها مثل عبادة مصر لان منكها يلقب نفسهُ ملك الجنوب والشمال ابن الشمس يد آمن

ثم قتل بطليموس زوجتهُ ارسنوي وسلم مقاليد الملك لخليلتهِ اغاثوكليا واخيها اغاثوكليس ووزيرهِ سوسيبيوس فضعفت شؤون البلاد في الداخل ولكن بقيت سطوتها في الخارج على ما كانت عليهِ في عهد اسلافهِ . ثم اشرك ابنهُ معهُ في الملك وعمرهُ ستتان وثارت البلاد عليهِ في اخريات ايامهِ وتركها كذلك لابنهِ وكانت وفاتهُ سنة ٢٠٥ قبل المسيح